جامعة تكريت

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

محاضرات مادة التصوف والأخلاق

المرحلة الأولى

المحاضرة الثالثة

مرحلة ظهور مصطلح التصوف وشيوعه :

إعداد

د. عبدالله نجم عبدالله

مرحلة ظهور مصطلح التصوف وشيوعه :

من المعلوم ان لقب الصوفية محدث لم يعرف في زمن النبي (ﷺ) ولا في زمن أصحابه الكرام (□) .

اذن فمتى ظهر هذا المصطلح وعرف هذا اللقب ؟ اختلف في عصر ظهور هذا اللقب وشيوع استعماله وذيوع صيته على جماعة معينة مخصوصة .

فقيل انه ورد على لسان الحسن البصري رحمه الله تعالى [١] ، أنه قال : (رأيت رجلا صوفيا في الطوائف) [٢] ، مما يدل على تقدم اطلاق هذا اللقب ومعرفته منذ عهد التابعين (□) ، لكن ليس لدينا ما يصحح هذه النسبة .

كما انه اطلق على احد العباد انه صوفي وقد عاش في وسط القرن الثاني الهجري وهو أبو هاشم الصوفي [٣] ، الذي كان معاصرا لسفيان الثوري [٤] رحمه الله تعالى الذي ينقل عنه التحدث به أيضا [٥] .

ومن المؤكد ان شيوع هذا اللقب لم يجد له في هذه العصور مكانة تؤثر ، ويرجع السبب في ذلك الى ان شرف الانتساب الى الصحبة [٦] لرسول الله

---

(١) الحسن البصري : هو الحسن بن يسار أبو سعد علم من اعلام الإسلام توفي سنة ١٢٠ هـ وهو الذي نقل لنا البيعة عن الامام علي (□) . ينظر : حلية الاولياء ٢ / ١٣٠ والاعلام للزركلي : ٢ / ٢٤٢ ووفيات الاعيان : ١ / ٣٥٤ .

(٢) ينظر : اللمع ص ٤٢ ، عوارف المعارف ص ٦٣ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ١١ / ٥ .

(٣) ينظر : ابجد العلوم ٢ / ١٥٤ ، ونفحات الانس لملا جامي .

(٤) سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع الكوفي ولد سنة ٩٧ هـ ، توفي سنة ١٦١ هـ ينظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : ٦ / ٢٧١ بيروت دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٨ م . وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ٩ / ١٥٤ .

(٥) ينظر : اللمع : ص ٤٢ ومجموع الفتاوى : ١١ / ٥ .

والانتساب الى التابعين [٧] وتباع التابعين أو الزهاد والعباد لم يكن يسمح للقب الصوفية بالانتشار والاشتهار .

وذلك لان الحديث الوارد في افضلية الصحابة ( ) اهل اقرن الأول ثم

الذين يلونهم كما قال الرسول الكريم (ﷺ) : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث) [٨] .

فاكثر الروايات تشير الى ان وقت ظهوره كمصطلح يطلق على جماعة مخصوصة في أواخر القرن الثامن الهجري .

---

(٦) الصحابي : هو كل من رأى رسول الله (ﷺ) من المسلمين وامن به أو راه الرسول(ﷺ).

(٧) التابعي : هو كل مسلم رأى أصحاب الرسول (ﷺ) واخذ عنهم الدين .

(٨) رواه البخاري في صحيحه برقم : (٢٤٥٧) ، رواه مسلم أيضا برقم : (٤٦٠١) .

المراحل التي مر بها التصوف :

١. مرحلة الزهد والعبادة :

ابتدأ التصوف بالزهاد والعبادة وذلك قبل ان يشيع استعمال كلمة (التصوف) فقد اشتهر كثير من السلف الصالح رحمهم الله بالزهد وكثرة العبادة والاعراض عن الدنيا وذلك في القرن الثاني الهجري وما بعده [٩] كأمثال سيدي مالك بن دينار رحمه الله تعالى [١٠] وسيدي الشيخ داود الطائي رحمه الله تعالى [١١] وسيدي الشيخ عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى [١٢] وسيدي الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى [١٣] وسيدي إبراهيم ابن ادهم ابن ادهم رحمه الله تعالى [١٤] وغيرهم ممن عرفوا واشتهروا بكثرة زهدهم وورعهم ، ويتضح ذلك جليا فيما ورد من كتابات في الزهد

مرحلة ظهور مصطلح التصوف وشيوعه :

([٩]) ينظر : مقدمة ابن خلدون : ١ / ٤٦٧ ، مطبعة بولاق ومطبعة مصطفى محمد : مصر ، سنة ١٢٧٤ هـ ورسائل الإصلاح : ٢ / ١٠ محمد الخضر حسين مكتبة القدس القاهرة .

([١٠]) مالك بن دينار : وهو مالك السلمي أبو يحيى الزاهد البصري روى عن الصحابة وكان ثقة توفي سنة ١٢٧ هـ ينظر : تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني طبع الاوفسيت دار صادر بيروت ١٩٦٨ م عن نسخة الهندية حيدر آباد .

([١١]) داود الطائي : هو أبو سليمان داود بن نصير كبير الشأن في باب الزهد والورع فقيه وعابد ثقة توفي سنة ١٦٥ هـ ينظر : مشاهير العلماء محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي : ص ١١٨ ، المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .

([١٢]) عبد الله بن المبارك : هو عبد الله الحنضلي التميمي احد الائمة وكان فقيها وصاحب حديث ، حافظ اشتهر بكثرة الحج والغزو في سبيل الله تعالى توفي سنة ١١٨ هـ ينظر : وفيات الاعيان : ٢ / ٢٩٨ .

([١٣]) الفضل بن عياض : هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشير التميمي اليربوعي توفي بمكة سنة ١٨٧ هـ ينظر : حيلة الاولياء : ٨ / ٨٤ وصفوة الصفوة لابن الجوزي : ٢ / ١٣٩ بيروت الطبعة الأولى والبداية والنهاية لابن كثير الطبعة الثالثة بيروت : ١ / ١٩٨ .

([١٤]) إبراهيم بن ادهم : أبو إسحاق من اهل بلخ كان من أبناء الملوك ، صحب سفيان الثوري والفضيل ، وكان زاهدا ورعا ، ينظر : طبعات الصوفية للسلمي : ص ٢٧ .

وكلام الصوفية ومن عاصرهم من أهل العلم فيه ، وذلك في نهاية القرن الثاني الهجري ، وما بعده حيث ظهر الحديث عن خواطر القلوب وهواجس النفوس وكيفية علاجها ، والتحدث عن ما يجدونه من أذواق ومواجد وأحوال [١٥] .

وابرز ما في هذه المرحلة : هو تدوين ما عرف من موضوعات التصوف آنذاك كما دونت سائر العلوم الأخرى بعد أن كان طريقة عملية في العبادة والسلوك فقط [١٦] .

ثم ظهرت كتابات الحارث المحاسبي [١٧] ، في الأوساط وظهر بعض مشاهيرهم في هذه الحقبة كأمثال الشيخ معروف الكرخي رحمه الله تعالى [١٨] والشيخ ابي سليمان الداراني رحمه الله تعالى [١٩] والشيخ ذنون المصري رحمه الله تعالى [٢٠] وغيرهم .

([١٥]) ينظر : رسائل الإصلاح : ٢ / ١٠ – ١١ ومدخل الى التصوف الإسلامي أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ص٢١ .

([١٦]) ينظر : مقدمة بن خلدون : ٣ / ١٠٦٦ .

([١٧]) الحارث المحاسبي : ابن اسد وكنيته أبو عبد الله ، عالم كبير من علماء الصوفية وله مؤلفات كثيرة اشهرها كتاب الرعاية لحقوق الله تعالى توفي في بغداد سنة ٢٤٣ هـ ، ينظر : طبقات الصوفية : ٥٥٦ و الحلية : ١٠ / ٧٣ وطبقات الشافعية تاج الدين السبكي : ٢ / ٣٧ الطبقة الأولى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

([١٨]) معروف الكرخي : هو أبو محفوظ فيروز كان من آجلة المشايخ وقدمائهم ورعا وتقوى وزهدا ، صحب داود الطائي وكان أستاذ السري السقطي ، ت سنة ٢٠٠ هـ ينظر : طبقات الصوفية : ٨٣ والطبقات الكبرى للشعراني : ١ / ٧٢ .

([١٩]) أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني ، من اهل داريا قرية من قرى دمشق توفي سنة ٢١٥ هـ وكان سندا في بداية الحديث ينظر : الكامل لابن الاثير ٥ / ٢٢٠ وشذرات الذهب ابن العماد الحنبلي : ٢ / ١٣ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت لبنان وكذلك طبعة ١٣٥٠ هـ .

([٢٠]) ذنون المصري : هو ثوبان بن إبراهيم الاخميمي المصري أبو الفيض احد العباد والزهاد المشهورين من اهل مصر نوبي الأصل من الموالي كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو اول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات اهل الولاية ، فانكر عليه عبد الله بن الحكم واغفره المتوكل العباسي الى بغداد متهما إياه بالزندقة ، وبعد أن سمع كلامه اعاده الى مصر مكرما ، توفي سنة ٢٤٥ هـ ينظر : الحلية : ٩ / ٣٣١ وطبقات الصوفية : ١٥ ومرآة الجنان لليافعي المكي طبعة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .